

بسم الله الرحمن الرحيم

رياض الصالحين

شرح حديث أنس - رضي الله عنه - "يتبع الميت ثلاثة.." وحديث ابن مسعود - رضي الله عنه - "الجنة أقرب إلى أحدكم من شريك نعشه.."

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فعن أنس - رضي الله تعالى عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((يتبع الميت ثلاثة: أهله، وماله، وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يرجع أهله وماله، ويبقى عمله))^(١)، متفق عليه.

هذا الحديث ذكره الإمام النووي - رحمه الله - في باب المجاهدة، وذلك لأنّه من الأمور المعينة على تحقيقها، بحيث إن الإنسان في باب المجاهدة يحتاج إلى مدافعة أمور متजذرة في النفس.

النفس تميل إلى الراحة، والدعة، النفس تحب الإخلاص إلى السهولة دائمًا، والقعود عن العمل، وإنما يرفع الإنسان عمله إذا كان خالصاً لوجه الله - عز وجل -، والعمل صعود، والصعود دائمًا يحتاج إلىبذل مزيد من الجهد، وكلما أراد أن يرتقي أكثر أراد أن يبذل أكثر.

كذلك أيضاً مدافعة الشهوات التي هي بمثابة الغرائز، بل هي غرائز في بعضها، هذا يحتاج إلى مجاهدة كبيرة، ما حبب إلى النفوس من الشهوات، والنساء، والقتاطير المقتنطرة من الذهب والفضة، والخيل المسومة، وألوان السيارات، والمراكب، وما إلى ذلك من ألوان البهجة والنعيم، هذه أمور حببت إلى النفس. فالنفس تحتاج إلى مجاهدة كبيرة من أجل أن تتغلب عليها، فهناك أمور إذا تذكرها الإنسان قوي في باب المجاهدة، ومنها: هذا الحديث.

((يتبع الميت ثلاثة: أهله، وماله، وعمله)) أهله يأتيون معه إلى المقبرة، أولاده وقرباته، وماله، يأتي مماليكه، يأتي خدمه، واليوم يأتي خدمه ويأتي أيضاً الذين يعملون عنده في مؤسسته، في شركته، أحياناً ترى أناساً كثريين يحضرون هذه الجنازة، ويظهر عليهم سيماء معينة أن هؤلاء يستغلون في شركة أو نحو هذا، فإذا سألت قيل: هؤلاء كلهم من الموظفين عند هذا الإنسان، تأتي حافلات تنزلهم في المقبرة، فيرجع كل هؤلاء، وترجع تلك السيارات التي هي من تركته، ولا يبقى عنده إلا شيء واحد وهو العمل، **كل نفس بما كسبت رهينة** {[المدثر: ٣٨].}

أما الأهل فإنهم يسلون بعد ذلك، ويتساؤلونه وكأن شيئاً لم يكن، كما هو مشاهد، وهذه سنة الله - عز وجل - فيخلق، ولو بقيت الأحزان يكابدها الناس لما بقي للناس لذة في مطعم، ولا مشرب، ولا منكح، ولا غير هذا، لكنهم ينسون تماماً، حتى لربما نسوا أن يذكروه، ولربما ينسون أن يدعوا له ، بل إذا جاء الحيل الذي بعدهم لربما نسي اسمه.

^١ - أخرجه البخاري، كتاب الرفاق، باب سكرات الموت (١٠٧/٨)، رقم: (٦٥١٤)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق (٤/٢٢٧٣)، رقم: (٢٩٦٠).

والآن لو جئت للجبل الثالث أو الرابع، ماذا تعرفون عن جدكم؟ ماذا تعرفون عن أعماله، وأوصافه وهيئته وكذا؟ لا يعرفون شيئاً، لربما ما يعرفون إلا الاسم.

وإذا ارتقىت إلى الجد الذي بعده، حتى اسمه ربما ما يعرفونه، وهكذا، ويبقى العمل، عمل الإنسان هو الذي يسعد به، أو يشقى، ولربما هذه الأشياء التي جمعها يحاسب عليها ويعذب؛ لأنه جمعها من حلال وحرام، وهؤلاء ينعمون بها، وتصل إليهم بطريق مباح وهو الميراث، وهو يشقى ويعذب بسبب ذلك، ولربما لا تأتيه دعوة من هؤلاء، أو كثير منهم.

وإذا تذكر الإنسان هذا لم يغتر بالدنيا، ومباهجها، وكان ذلك عوناً له على تحقيق المجاهدة. والحديث الذي بعده حديث ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك))^(٢) رواه البخاري.

الشراك: هو الجلد، جلد النعل الذي يكون في أحد الطرفين يقال له: شراك، بحيث لو انقطع لم يستقم له المشي بهذا النعل، فالجنة أقرب إلى أحدنا من شراك نعله، وكذلك النار، أي أنها قريبة، وهذا ظاهر، وذلك أن الرجل قد يتكلم بالكلمة من سخط الله، كما في الحديث: ((إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبنّى فيها، ينزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغارب))^(٣).

بكلمة واحدة يتحول كل شيء، يصير هذا الإنسان كافراً يستحق النار، وكذلك أيضاً بكلمة واحدة يتحول إلى مؤمن، والرجل الذي تبع النبي -صلى الله عليه وسلم- وأسلم، وبابيعه على الإسلام، وقتل معه في المعركة، لا صام، ولا صلى، وأخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه دخل الجنة بهذا^(٤).

الشاب اليهودي دخل عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو في مرض الموت، فعرض عليه الإسلام، فنظر إلى أبيه، فقال: أطع أبا القاسم، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله^(٥).

فالحاصل أن الرجل مات ولم يعمل شيئاً من الحسنات، كذلك في أعمال البر قد تكون قليلة، المرأة البغي منبني إسرائيل لما رأت الكلب الذي قد بلغ به العطش مبلغه، فنزلت وملأت خفها، ثم سقت هذا الكلب، غفر الله عز وجل لها بذلك^(٦)، وهو عمل بسيط.

المرأة التي جاءت تسأل عائشة -رضي الله عنها- ومعها ابنتان، فأعطتها ثلات تمرات، فأعطت كل بنت تمرة، ورفعت الثالثة إلى فمها، فكل بنت التقطت تمرتها بسرعة، فلما أرادت أن تضع التمرة الثالثة في فمها

^٢ - أخرجه البخاري، كتاب الرفق، باب الجنائز، أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك (١٠٢/٨)، رقم: (٦٤٨٨).

^٣ - أخرجه البخاري، كتاب الرفق، باب حفظ اللسان (٦٤٧٧)، رقم: (٦٤٧٧)، ومسلم، كتاب الزهد والرفق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار (٤/٢٢٩٠)، رقم: (٢٩٨٨).

^٤ - أخرجه أحمد (٤١/٣٩)، رقم: (٢٣٦٣٤).

^٥ - أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ (٢/٩٤)، رقم: (١٣٥٦).

^٦ - أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار (٤/١٧٣)، رقم: (٣٤٦٧)، ومسلم، كتاب السلام، باب فضل ساقى البهائم المحترمة وإطعامها (٤/١٧٦١)، رقم: (٢٢٤٥).

كل واحدة من هؤلاء البنات مدت يدها ت يريد أن تعطيها، فهي بمحض الجبلة والشفقة الوالد يطوي على الجوع، يبيت على الجوع، ويبني طاوياً من أجل أن يشب الأولاد، فبمحض الجبلة أخذت التمرة ولم تأكلها وقسمتها نصفين، وأعطت هذه نصفاً، والأخرى النصف الآخر، فأخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أنها قد دخلت الجنة بهذا العمل^(٧)، شيء بسيط.

الرجل الذي مر بغضن شجرة يؤذى المسلمين فقطعه، فغفر الله له^(٨)، فالمعنى من هذا أن الإنسان لا يحقر من المعروف شيئاً، ولو كان شيئاً يسيراً، ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخيك بوجه طلق))^(٩).

فالبر وإن قلّ قد يدخل به الإنسان الجنة، وقد يغفر له بسبب هذا العمل اليسير البسيط، وهذا أيضاً لا يقال للإنسان معصية الله -عز وجلـ، لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت، فلا يقول الإنسان: هذه المعصية قليلة صغيرة، فالصغار إذا اجتمع يمكن أن تحرق الإنسان، وتكون كبائر، الصغيرة إذا تكررت تكون كبيرة.

والنبي -صلى الله عليه وسلم- شبه كثرة الصغار بقوم نزلوا وجاء هذا بعود، وهذا بعود، فأوقدوا ناراً، وصنعوا طعامهم على هذه^(١٠)، فكذلك الصغار إذا اجتمع، والإنسان لا ينظر بهذا المنظار ويقول: هذه صغيرة، أنت تعصي الله -عز وجلـ، وقد تموت على هذا، وقد يطمس على قلب الإنسان بسبب تعمده، وتسائله في المعاصي، فهذا كله يحفز في الإنسان أن يُكثر ما استطاع من الخير، ولو كان ذلك قليلاً، ولو بشربة ماء، فقد يكون سبباً في دخوله الجنة، وأن يرعوي وينكف عن كل دنس، وعن كل ذنب ومعصية، ولو كانت قليلة، فقد يختم له بذلك، أو يختم على قلبه بسبب اجترائه على الله -جل جلاله.

أسأل الله -عز وجلـ- أن ينفعنا وإياكم بما سمعنا، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين، وأن يتقبل منا ومنكم، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وصلى الله على نبينا محمد، وآلـه وصحبه.

^٧- أخرجه مسلم، باب فضل الإحسان إلى البنات (٤/٢٠٢٧)، رقم: (٢٦٣٠).

^٨- أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم (٤/٢٠٢١)، رقم: (١٩١٤).

^٩- أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء (٤/٢٠٢٦)، رقم: (٢٦٢٦).

^{١٠}- عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب قوم نزلوا في بطن واد، ف جاءوا بعود حتى أضجوا خبرتهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه))، أخرجه أحمد (٣٧/٤٦٧)، رقم: (٢٢٨٠٨).